

العادات التواصلية للأسرة الجزائرية: بين الماضي والحاضر

د. لدمية عابدي

جامعة العربي التبسي- تبسة-

ملخص:

تعايش الأسرة الجزائرية المعاصرة مع التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال بحيث أصبحت جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية حيث أصبحت وسائل حتمية يستخدمها أفراد الأسرة لإشباع حاجات ايجابية تتعلق بالعلاقات الاجتماعية وآخرون يستخدمون هذه التكنولوجيات كشكل من أشكال العلاقات السلبية لتحقيق نوع من الهروب من الواقع مما يؤدي إلى العزلة والفردانية ، وفي هذه الحالة أصبح الاتصال الأسري تحكمه الوسيلة أكثر من الرسالة ، مما جعل التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال تؤثر في العادات التواصلية للأفراد وأنماط السلوك والقيم الاجتماعية لدى شرائح واسعة من أفراد الأسرة.

الملخص بالانجليزية:

The Algerian family follows the rhythm by coexisting with modern technologies of information and communication considering that they become a part of its daily in particular satellite channels, internet, and the mobile, these means had become a use necessity for the family members to satisfy positive needs relating to social relations. Others use these technologies with a negative manner to escape from the reality which leads to solitude and individuality. In this case, familial communication is controlled by the message more than the medium, adding new technologies of information and communication influencing vehicular habits of individuals, behaviors and social values of multiple tranches of the family members .

مقدمة:

تواجه الأسرة اليوم تحديا كبيرا أمام التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال التي تهدد كيائها وتواجدها داخل النسيج الاجتماعي ، حيث لا يمكننا أن نتناسى أن الأسرة هي الخلية الأولى والأساسية في بناء المجتمع وتنشئة أفراده الذين يتعلمون المبادئ والأسس الأولى للتواصل داخلها ، فقد استمرت في لعب هذا الدور على امتداد الحضارة الإنسانية، رغم اختلاف شكلها ونمطها بدءا من الأسرة الممتدة التي كانت سائدة قبل المجتمعات الصناعية، حيث تميزت بالرعاية الأبوية، وجماعية المشاركة في النشاطات والمناسبات العائلية، وتماسك العلاقات الأسرية التي كرسها قوة التفاعل الاجتماعي والاتصال الأسري بين أفراد تجمعهم رابطة الدم والقربة يتبادلون ويتشاركون في الأفكار والحاجات والمعلومات والمشاعر، وصولا إلى الأسرة النوواة التي تتكون من الزوج والزوجة، ويتناقص فيها عدد الأولاد حتى يصل إلى طفلين أو طفل في بعض الأحيان، وفيها لم تعد مصادر التربية والتواصل الاجتماعي محصورة في الأب والأم والمعلم، بل أصبحت التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال تلعب دورا كبيرا وهاما في هذا المجال لما تتميز به من خصائص تجعلها أكثر قوة وتأثيرا في الآخرين من خلال الصوت والصورة والحركة واللون، وهذا ما يجذب كل شرائح المجتمع مهما كانت أعمارهم ومستوياتهم، خصوصا بعد ظهور الفضائيات التلفزيونية المتعددة، المتنوعة والمتخصصة أيضا في مجالات كثيرة، بالإضافة إلى الشبكة العنكبوتية ومواقعها التي لا تعد، وخدماتها التي لا تحصى، والهاتف النقال الذي أصبح بدوره وسيلة متعددة الوسائط توظف في الممارسات الاجتماعية، الثقافية، التعليمية والترفيهية.

إن وسائل الاتصال الحديثة التي سبق ذكرها سحبت البساط من حميمية التواصل الأسري القائم على الحياة الجماعية والمشاركة بين أفراد الأسرة، ومن أهم مؤشرات وصوره: تناول الطعام على مائدة واحدة، والحديث المباشر والاستماع في الجلسات الأسرية اليومية وفي المناسبات، والمشاركة في الأنشطة المنزلية، والزهرات وزيارات الأهل والأقارب.....، فالاتصال هو الذي يمنح العلاقات الأسرية روحها

وشكلها المتميز، وتؤثر فيه عوامل كثيرة أهمها الوقت المتاح للتفاعل، فقد يكون وقت اللقاء كبيرا لكنه خال من التفاعل إذا كان الوقت منصرفا في مشاهدة الفضائيات التلفزيونية مثلا أو تصفح مواقع الانترنت أو الانشغال بالهاتف النقال مع عناصر أجنبية عن الأسرة تؤدي إلى الانعزال الداخلي، وبالتالي تتحول الأسرة إلى ما يسمى بالقوقعة الفارغة¹.

فما هي التغيرات التي طرأت على العادات التواصلية للأسرة الجزائرية في ظل انتشار التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال؟ وإلى أي مدى ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في تقليص الأنماط الاتصالية التقليدية للأسرة الجزائرية؟.

أولا: لمحة تاريخية عن الأسرة الجزائرية

لقد كانت الحياة العائلية قبل الثورة الجزائرية تسودها السيطرة الأبوية على الزوجة والأولاد كما كانت القبيلة هي محور العلاقات السياسية والاجتماعية والدينية فهي مجموعة عائلات ممتدة توحدتها الرقعة الجغرافية.

وكان هدف فرنسا الأساسي هو تفكيك الأسرة الجزائرية خصوصا والمجتمع الجزائري عموما واستخدمت لذلك كل الأساليب الاستعمارية كتحطيم النسب العائلي القبلي، مصادرة الأراضي، التقتيل، التشريد، التنصير ونشر الموبقات والوسائل الهدامة مثل الخمر والقمار والزنا وغيرها كثير، وهذا ما جعل الأسرة الجزائرية تمر باهتزازات كبيرة فعانت التهميش، التشرد، البطالة والفقر، لكن في الوقت الذي ظن فيه الاستعمار أن مشروع تفكيك الأسرة الجزائرية يسهل تنفيذه، تكاثفت جهود الجزائريين للوقوف ضد المستعمر الغاشم بتنامي قيم التعاطف والتضامن بين الأسر، والتمسك باللغة العربية، والقيم الإسلامية والوطنية².

أما التحولات الواقعة ما بين 1954 و 1962 وهي سنوات حرب التحرير فنتجت عنها أكبر التفككات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع الجزائري في العهد الاستعماري، وهي اقتلاع السكان الريفيين من أراضيهم وإجبارهم على السكن في محشدرات خصصت لهم، قصد تحقيق إستراتيجيتين: قطع مصادر التمويل، ومنع الاتصال بين السكان والثوار من جهة، وإحكام السيطرة وفرض المراقبة على

هؤلاء السكان المجتمعين من جهة أخرى، ومن أهم نتائجها على المدى القصير ظهور أشكال جديدة من الألفة الاجتماعية.

ولقد عجلت ثورة التحرير بتغيير الأدوار داخل الأسرة الجزائرية، خاصة في دور المرأة التي شاركت في النضال إلى جانب الرجل، كما أن الاحتكاك بالثقافة الغربية أثر على الأسرة عامة والعلاقات بين أفرادها خاصة، وبالتحديد العلاقة بين الزوجين، حيث اقتحمت المرأة الجزائرية مجال العمل، ومنه مشاركة الزوج في ميزانية البيت واتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة³.

وجاء المنعطف التاريخي سنة 1962، الذي طالما انتظرت به الأسرة الجزائرية لتتحرر من السياسات العنصرية للمستعمر، وتعيش في كنف قيمها وثوابتها العربية والإسلامية، وعاش جيل الثورة عهد الاستقلال محاولا تحقيق آماله وطموحاته في حياة أفضل للمجتمع الجزائري، وتحقيق المساواة في فرص التعليم والتوظيف، وحق المواطن الجزائري في حياة أفضل على كافة المستويات، حيث توسعت المشاريع العمرانية في مناطق جغرافية عديدة، كما وضعت إستراتيجية جديدة للتنمية الريفية في إطار التخطيط العمراني "القرى الاشتراكية" والثورة الزراعية، لضمان الاستقرار وفرص التشغيل، كما تخصص أفراد العائلة في تخصصات مهنية عن طريق التكوين المهني، ثم الدخول بعدها في أعمال مختلفة ومهن متنوعة خططت لها الدولة، وكانت تهدف من وراءها لترقية الأحوال المادية للمجتمع، والموافقة بين البنية التحتية (الأسرة) والبنية الفوقية (الإجراءات والقوانين...).

وبعد أحداث 5 أكتوبر 1988 عاشت الأسرة الجزائرية المأساة الوطنية التي لم تشهد لها مثيلا أي دولة عربية مسلمة، القتل والتشريد والتهجير من القرى وعدم الأمن، ولنا أن نتصور حال الأسر الجزائرية ومعاناتها اليومية في البحث عن الأمن والأمان لأبنائها ناهيك عن البحث عن لقمة العيش التي يشارك فيها الأطفال أنفسهم في ظل تدهور الحياة الاقتصادية للبلاد.

وبفعل الظروف الاقتصادية السياسية والاجتماعية المتردية، أصبح الآباء أكثر عرضة للقلق والتوتر ومشاعر الإحباط، وهذا ما انعكس سلبا على التنشئة

الاجتماعية للأبناء، فتقوضت كل أسرة على نفسها، وضيق من حدود ومجالات التعامل حتى بين الجيران أنفسهم .

وبانفراج الأزمة التي عاشتها الجزائر أكثر من 10 سنوات شهدت الحياة السياسية، الاجتماعية والاقتصادية ازدهارا كبيرا كان له الأثر العميق على الحياة اليومية للمواطن الجزائري عموما وعلى الأسرة الجزائرية خصوصا.

ثانيا: النسق القيمي للأسرة الجزائرية التقليدية (العائلة).

سنحاول فيما يلي إبراز سمات النموذج الاجتماعي الثقافي للأسرة الجزائرية التقليدية التي انبثقت منها الأسرة الجزائرية المعاصرة المتحولة⁴، وهذه أهم الخصائص:

1- العائلة: أسرة ممتدة أي أنها من الناحية البنائية تتركب من خليتين أسريتين أو أكثر وتضم أكثر من جيلين اثنين، فتشمل الأجداد والآباء والأحفاد، ويقيم هؤلاء جميعا في وحدة سكنية مشتركة، ويمكن أن يكون هذا الامتداد عموديا فيضم مثلا أسرة الأب التي تمثل النواة، وأسر أبنائه المتزوجين التي تحيط بها، أو أفقيا فيشمل اتحاد أسر الأخوة بعد وفاة أبيهم .

ويقول مصطفى يوتفنوشت : أن الأسرة الجزائرية هي أسرة ممتدة تعيش في أحضانها عدة أجيال، عدة أسر زواجية، تحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضر، والخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخصا أو أكثر⁵.

2- وحدة اجتماعية إنتاجية غير منقسمة: شكلت الأسرة الجزائرية في المجتمع التقليدي، وحدة إنتاجية غير منقسمة، فتماسك الأفراد داخل هذه البنية الاجتماعية نابع أساسا من رابطة الدم، لكن يضمن وحدة العائلة وتلاحمها أيضا وحدة الملكية سواء كانت أرضا، قطيعا أو وسائل عمل جماعي... الخ، فالملكية العائلية هي ملكية خاصة ولكن لا يجوز بيعها أو تقسيمها .

3- أسرة أبوية: يعتبر الجد، الأب وأحيانا الأخ الأكبر رئيسا ومركز قوة، وسلطة ذات طبيعة مطلقة ونهائية، وانطلاقا من هذه الميزة التي يخولها له العرف

والعادة، يسهر على وحدة الملكية وعلى تماسك الجماعة العائلية، وينوب عن أفرادها ويمثلهم في جميع المعاملات والعلاقات خارج الأسرة. وهي كذلك أبوية من حيث النسب وأبوية من حيث السكن، أي أن إقامة الزوجين تخضع لقاعدة السكن مع والد الزوج.

4- أسرة هرمية على أساس السن والجنس: يمكن كذلك أن نصف الأسرة الجزائرية التقليدية بأنها طبقية: "فيحتل الأب رأس الهرم، ويكون تقسيم العمل والنفوذ والمكانة على أساس الجنس والعمر"⁶.

فتتركز السلطة في يد كبار السن وعلى رأسهم رب العائلة، وهؤلاء الكبار (الشيخ والكهول) يمارسون سلطتهم وتسلطهم على الصغار (الشباب والأطفال)، ويتوقعون منهم الطاعة، والامتثال للأوامر، واجتناب النواهي كما أن السلطة الأسرية تتركز خاصة في يد الذكور، وهذا كله يترتب عنه شكلا هرميا سلميا لتوزيع السلطة، وعلاقات اجتماعية تراتبية، وتقسيما للفضاء الاجتماعي فضاء عام خارج البيت مخصص للرجال وممنوعا على النساء، وفضاء خاص داخل البيت، يحرم على الرجال المكوث فيه طويلا.

5- أسرة تبيع تعدد الزوجات وتحبذ الزواج الداخلي: حيث ينتشر نظام تعدد الزوجات في كثير من المجتمعات الإنسانية، منها تلك الواقعة ضمن المحيط الثقافي العربي الإسلامي، أين تبدو آثار الدين الإسلامي واضحة في تنظيم المجتمع، وتنظيم مؤسسة الأسرة ومؤسسة الزواج⁷.

أما الظاهرة الأخرى التي يمكن أن نميز بها العائلة الجزائرية التقليدية هي الزواج الداخلي الذي يعكس ميل الجماعة (العائلة، العشيرة، القبيلة) لتمتين الروابط بين أفرادها وإبقاء الإرث في حوزتها.

ونخلص في الأخير إلى أن المجتمع الجزائري التقليدي يتشكل من قبائل، عشائر وأسر أبوية ممتدة (عوائل) تمثل الوحدات الاجتماعية القاعدية لهيكل المجتمع، كما خضعت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبين الفئات الاجتماعية لنظام القانون الإسلامي المالكي، إلى جانب الأعراف والتقاليد والعادات السائدة

✓ التواصل الأسري في الأسرة التقليدية الجزائرية:

تعتبر أشكال التواصل اليومي بين أفراد الأسرة خير دليل على طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة داخل الأسرة، ففي الأسرة التقليدية الأبوية الطبقية يتم التواصل على مستويين اثنين: من فوق إلى تحت، ومن تحت إلى فوق. ويحلل حليم بركات هذين الشكلين في الأسرة العربية التقليدية، فيقول: فيتخذ من فوق إلى تحت طابع الأوامر والتبليغ وتوجيه التعليمات والتلقين والمنع والتحذير والتخويف والتهديد والتوبيخ والتنديد والتخجيل والاستهزاء والإذلال والشتم والتجريم وتوليد الشعور بالذنب والقلق الخ وقد يقتزن هذا التواصل من فوق إلى تحت بالعقاب والحرمان والغضب والصفع والإخضاع وكسر «الأنف» أو «الشوكة» أو العنفوان.

أما التواصل من تحت إلى فوق فيتخذ طابع الترجي والإصغاء ورفع التقارير والانصياع والاسترحام والتذلل والاستعلام والترديد والتجاوب والاستجابة مقترنا بالبكاء، الكبت، الصمت الانسحاب، إحناء الرأس، المراقبة الذاتية، إخفاء الأسرار والمشاكل، التكتم والتخفي، التحجج، المكر، المسايرة، الاستغاثة، الحذر، والإحساس بالذنب والقلق والخوف والرضوخ، الخ⁸

بالتالي فالتواصل في هذه البنية الاجتماعية التقليدية، يغلب عليه طابع العنف المادي الذي يمارسه ذوي السلطة والنفوذ في الأسرة على سائر الأفراد الذين لا يملكون هذه الموارد، غير أن العنف المادي ليس هو القوة الوحيدة التي يسيطر بها الكبار على الصغار، ويهيمن بها الرجال على النساء، بل هناك قوة أخرى خفية تضاف إلى الأولى وتعززها تتمثل في العنف الرمزي.

ثالثا: النسق القيمي للأسرة الجزائرية الحديثة: (بدخول التلفزيون إلى المنازل الجزائرية)

إن تحول الثقافة الاجتماعية التقليدية في المجتمع الجزائري جعل الأسرة الجزائرية تنتقل من النمط الأبوي الممتد إلى النمط الزواجي النووي، مما أدى بالعلاقات بين الرجل والمرأة، وبين الآباء والأبناء تتميز بالانتقالية أو الازدواجية أي

توجد فيها عناصر تقليدية وأخرى حديثة بحكم التغيرات التي حدثت في المجتمع الجزائري .

وحسب دراسة دحمان سليمان الموسومة بظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، العلاقات، فهناك عدة عوامل أدت إلى تغير نظام السلطة الأبوية داخل الأسرة الجزائرية ويأتي هذا التغير عادة في شكل خفيف، لكنه يكون أحيانا قويا (أي جذريا)، ومن هذه العوامل نذكر⁹:

- خروج العديد من وظائف العائلة عن نطاقها وقيام مؤسسات أخرى بها .
- تفكك العائلات إلى أسر نووية.
- خروج المرأة إلى العمل.
- تأثير النموذج الأسري الغربي.

ولقد اهتمت الدراسات السوسولوجية المعاصرة بتمييز خصائص الأسرة النووية الحديثة عن خصائص الأسرة الممتدة التقليدية، نحاول أن نلخصها فيما يلي :

جدول يوضح الفرق بين الأسرة الممتدة والنووية.

الأسرة الممتدة	الأسرة النووية
1- تشكل وحدة اقتصادية متعاونة .	1- تتميز باستقلالها الاقتصادي .
2- قائمة أساسا على رابطة الدم أكثر من رابطة الزواج أو المصاهرة .	2- تسودها رابطة الزواج والمصاهرة أكثر من رابطة الدم .
3- تنتشر أكثر في المجتمعات التقليدية والشعبية والريفية.	3- تنتشر أكثر في المجتمعات الحديثة الحضرية والصناعية .
4- تسودها علاقات اجتماعية تراتبية ويتمتع الأب الأكبر بسلطات واسعة على جميع أفرادها.	4- تسودها علاقات اجتماعية ديمقراطية .

✓ **العلاقات الأسرية الجزائرية المتغيرة:**

سنحاول فيما يلي الوقوف على التغيرات التي مست نماذج التفاعل الاجتماعي الأسري أو العلاقات حيث لا يمكن الحديث عن الأسرة الجزائرية الحديثة إلا في صيغة الجمع فهي لا تسير وفق نموذج اجتماعي - ثقافي وحيد بل وفق نماذج متعددة قد تختلف عن نموذج العائلة التقليدية¹⁰. فمن الناحية البنائية المورفولوجية نجد في المجتمع الجزائري عدة أنماط: الممتد، الموسع

والنوعي، ويطبق هذا على أنواع الإقامة أيضا، فقد يسكن الزوجان مع أهل الزوج (الإقامة الأبوية)، أو مع أهل الزوجة، أو في إقامة حرة.

ويجب التنبيه إلى أن موضوع العلاقات في الأسرة الجزائرية – على أهميته – لا يزال نادر التداول من طرف الباحثين في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

• ومن بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع دراسة محمد ريزاني المعنونة بـ: الحياة الأسرية للنساء الجزائريات الأجيرات حيث ركز فيها على النقاط التالية¹¹:

1- مشاركة الزوجة في صنع القرار داخل الأسرة:

إذ أكدت 71,3 % من النساء المبحوثات أنهن يقررن مثل الرجل أو أكثر في القضايا التي تمس تربية الأطفال، فيما أكدت 60,7 % من المستجوبات أنهن يقررن مثل الرجل في مجال النفقات الكبرى، أما بخصوص الخرجات والزيارات العائلية فقد بينت نفس الدراسة أن صنع القرار يتضاءل بشكل ملحوظ في هذا المجال بالذات أي 8,3 % فقط من إجمالي النساء المبحوثات صرحن أنهن يقررن بشكل منفرد الخروج من المنزل أي دون طلب تصريح مسبق من الزوج.

2- قيام الزوجة بمهام الاتصالات الخارجية:

لقد أكدت نفس الدراسة أن 51,1 % من النساء المستجوبات صرحن أنهن يخرجن من المنزل لشراء الملابس لأطفالهن الصغار.

79,1 % يذهبن إلى المدرسة عندما يتم استدعاء أولياء التلاميذ، 34,4

% يخرجن لقضاء شؤون الأسرة، 23,8 % أي أقل من الربع يترددن على الإدارات.

3- تدخل أهل الزوج في شؤون أسرة الزوجة :

أظهرت الدراسة أن تدخلات أهل الزوج في شؤون أسرة الزوجة بدا ضعيفا بالنسبة للنساء العاملات الأجيرات، وحتى بالنسبة للنساء الماكثات بالبيت، وتضعف هذه التدخلات خاصة عندما تسكن الزوجة في إقامة حرة أو تسكن مع آبائها ويعزز الباحث هذا الوضع الجديد إلى الإيديولوجية الجديدة التي بدأت تسود في الأسرة الجزائرية، أي إيديولوجيا الاستقلالية الفردية.

يتضح مما سبق أن العلاقات بين المرأة والرجل داخل الأسرة الجزائرية، أصبحت تسودها مشاركة أوسع للزوجة في الكثير من القرارات، ويميزها اضطلاع

الزوجة بمهمات خارج المنزل واستقلالية أسرتها عن الجماعة العائلية، وهذا راجع للتعليم والعمل، فاكتمست بذلك أدوار جديدة لم تقم بها سابقاً¹².

✓ الاتصال الشخصي في الأسرة الجزائرية الحديثة:

يمكن القول بصفة عامة بأن الاتصال الذي كان سائداً في الأسرة التقليدية أخذ في التراجع في الأسرة الحديثة، ونلاحظ بادئ ذي بدء دخول تعديلات ملحوظة على سلطة الأب على الزوجة وعلى الأولاد، حيث أنها تسير في اتجاه التخفيف الواضح حيث تتغير علاقات القوة في محيط الأسر كلما تقدم الأبناء في العمر وكلما كان الأب ديمقراطي النزعة في تنشئة الأبناء أو تدبير أمور المنزل الأخرى وفي حالة العكس تكون العلاقات مبنية على الإلزام والقهر والتسلط تلك هي العلاقات الأسرية الجزائرية التي بدأت تعرف تغييراً بسبب ظهور فلسفات كثيرة مثل فلسفة المساواة بين أعضاء الأسرة والتي أصبحت توجه ميكانيزمات الاتصال الأسري والتي غيرت إلى حد ما مظاهر التسلط الأبوي التقليدي، والتي تستند إلى فوارق السن والنوع كأسس أولية لتحديد مكانة الفاعل في الأسرة وتعيين أنماط السلوك المتوقعة وتوجيه علاقاته بالآخرين. ويعتبر مجال العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الأب وأبنائه من أوضح المجالات تأثراً بفلسفة الديمقراطية وأكثرها تعبيراً عن تغيير العلاقات التي كانت تتسم بالتسلط والخضوع. ففي الوقت الذي أكدت فيه التبعية الاقتصادية والاجتماعية للمرأة في الأسرة التقليدية مظاهر التسلط المقترنة تاريخياً بمركز الرجل في الأسر الممتدة على وجه الخصوص، كان إقبال المرأة على العمل خارج المنزل في الأسرة الحديثة عاملاً هاماً لتأكيد الاستقلال الاقتصادي لها وتمهيدا مقبولا لفلسفة المساواة التي نادى بها المرأة لتغيير النظرة إليها¹³.

وتشير بعض الدراسات في هذا الصدد إلى اتجاه بعض القوانين الوضعية في كثير من البلاد إلى الكلام عن "سلطة الوالدين" لا عن "سلطة الأب" فقط، كما تعتبر الزوج "مثلاً" لسلطة الوالدين في التعامل مع المجتمع خارج الأسرة¹⁴، وفي مقابل هذا تزداد العلاقات الشخصية والذاتية داخل الأسرة أهمية واتضحاً بحيث تتفوق في أهميتها على العلاقات الموضوعية أو الرسمية، ويتمتع بذلك مجال العلاقات الحميمة التي تعتمد على التقرير الذاتي والذوق والحكم الشخصي،

وهذا راجع لسيطرة الطابع الفردي على الحياة الاجتماعية ونمو الشخصية الفردية.

وإذا تحدثنا عن العلاقة بين الزوجين في الأسرة الجزائرية الحديثة فقد تجاوزت الطابع الطبقي التسليطي، لتزداد قوة العلاقة بينهما فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التي يقضيانها مع بعضهما، وذلك راجع لسيطرة الزواج الواحد من جهة، والانفتاح الذي شهده المجتمع الصناعي في تلك الفترة من انتشار التعليم وعمل المرأة وتأثير وسائل الإعلام وقد شرحنا هذه العوامل سابقا.

رابعاً: النسق القيمي للأسرة الجزائرية المعاصرة: (في ظل انتشار التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال: الانترنت والهاتف النقال.....).

ذهب الكثير من المهتمين بالأسرة إلى القول بأن تعدد أنماط الأسرة في المجتمع يعتبر من أبرز ملامح المجتمعات المعاصرة، فلا يوجد مجتمع قائم بالفعل ولا يشتمل على بناءات أسرية على أية صورة من الصور فهنا تعيش واضح بين الأسرة الممتدة و الأسرة النووية في المجتمع الجزائري، فالأسرة الممتدة تندخل في الكثير من الأوقات مثلاً لرعاية وحماية الأطفال الذين أصبحوا عرضة للضيق نتيجة للطلاق أو غيره من أشكال التصدع في العلاقات الأسرية¹⁵.

فالأسرة الجزائرية حسب الباحث مصطفى بوتفنوشت ليست مطبوعة بطابع التحولات السريعة التي حدثت في الهياكل السياسية والاقتصادية، بل إن تطور الأسرة يسير سيراً بطيئاً جداً بحيث لا يمكن حسابه إلا على مر الأجيال، كما أن الطموح إلى العصرية وإلى الحضارية يجعل من البنية التقليدية وكأنها في طريق الزوال، والعجيب أن حيننا إلى الماضي الراسخ في الأذهان والأفعال سبق هذا الطموح نفسه، ويتجلى هذا في الاتصالات اليومية بين فاعلي الأسرة: الأزواج، الأقارب، الآباء والأبناء¹⁶.....

فالتغيرات التي اقتحمت الأسرة كمؤسسة اتصالية سريعة لم تحدث القطيعة بين البنية الاجتماعية القديمة والبنية الاجتماعية الحديثة، لذلك ظلت ديباجة الاتصال الأسري تعيش المد والجزر بين ما رسخته الخلفية الثقافية (العادات،

الأعراف ،سلطة الجماعة والقرآن) وما تحمله التكنولوجيات الواردة إليها، علما أن التجارب التنموية المنقولة والمحتويات الفكرية حملت معها ديباجة الآخر، وهنا تتجلى مظاهر التنافر والنزاع بين القوالب النمطية الدخيلة، تلك هي أكبر عوائق الاتصال داخل الأسرة الجزائرية والتي مست محددين أساسين للحياة الأسرية هما: السلطة والأدوار¹⁷.

فلاشك أن المجتمع الجزائري في أثناء انتقاله من المجتمع التقليدي والثقافة التقليدية إلى المجتمع الصناعي والثقافة الحديثة إلى مجتمع الإعلام والمعلومات وثقافة العولمة يمر بتغيرات في قيمه الاجتماعية والأخلاقية، وهذه التغيرات التي تمس القيم القبلية – العشائرية والعائلية، يمكن اعتبارها كعامل من عوامل تغير الأسرة الجزائرية، وأيضا كنتيجة للتحويلات التي تعرفها هذه الأخيرة، ومن بينها الإعلام وتكنولوجياته الذي تحول بوسائطه المتعددة إلى منظومة متكاملة تساند الواحدة منها الأخرى، وقد تمدد عمل هذه المنظومة في الفترة الأخيرة متخطيا المسافات والدول والمجتمعات والأسر، أي كل الهياكل الهرمية لكن يبقى أثر وسائل الإعلام متعلقا بطبيعة الأسرة وطبيعة الروابط بين أفرادها، وقد لمسنا في المجتمع الجزائري الآثار التالية :

- لقد كبر الشباب الجزائري مع التقنيات الحديثة للاتصال، وشهدوا متغيراتها دون خوف ولا عقد فقد كانت إمكانية استخدامهم لها أكثر سهولة من الأهل، لاسيما وأن ثقافة العولمة هي ثقافة شبابية، وهو ما أدى إلى انقلاب المرجعيات، حيث بدأ الكبار ينخرطون في ثقافة الشباب ويقلدون سلوكهم في الملابس والمأكول والوجبات السريعة والأذواق، وبذلك تغيرت المرجعية التي تشكل تحولا حضاريا في علاقة الأجيال بعضها ببعض .

- أصبح الأهل (الوالدان) في المجتمع الجزائري يعملون لفترات طويلة ليعبروا عن حميم لأولادهم من خلال تقديم أحدث وسائل الراحة المادية وأدوات التسلية والفرص التعليمية والتكنولوجية الأكثر عصريه لهم، هذا النوع من الحب

المكلف ماديا هو حب عن بعد لأن الصور الأكثر صراحة للحب الوالدي تتطلب الوقت والصبر والتواجد .

● أصبح التفاعل بفضل التقنيات الاتصالية الحديثة يترجم بتفاعل الإنسان وحيدا مع شاشته، مع المعطيات الموضوعة أمامه من قبل الطرف الآخر من الشبكة، مع النظراء والمختصين والخبراء، وتكون النتيجة غياب شبه كامل للعلاقات التفاعلية العلائقية بين أفراد الأسرة الواحدة .

● إضافة إلى أن شروط الوجود في المجتمع الجماهيري تميل إلى مضاعفة الكبت الفردي، وتؤدي إلى إنتاج علاقات بين الأفراد غامضة، مجزأة، وظيفية، تفتقد إلى الحميمية مسببة شعورا باللاأمان والقلق.

● أما عند الحديث عن الزواج أو الخاطبة الإلكترونية فالجزائريون يشكلون نسبة معتبرة في مواقع الزواج عبر الانترنت حيث تعرف بعض المنتديات والمواقع الخاصة بالزواج إقبالا كبيرا من طرف الجزائريين والجزائريات الذين يعرضون بياناتهم الشخصية وحتى صورهم للظفر بالنصف الآخر، ولا تقل مشاركاتهم بتلك المواقع عن 1000 مشارك لكل جنس¹⁸ .

● عرفت الأسرة الجزائرية حضورا قويا للفضائيات التلفزيونية التي احتلت مكانة الصدارة مقارنة بما هو مكتوب شأنها في ذلك شأن كل المجتمعات من حيث اتجاهها نحو الوسيلة المرئية، وأصبح الفرد الجزائري يكرس قسما وافرا من الوقت في مشاهدة التلفزيون، وقد يكون ذلك أحيانا على حساب العادات والتقاليد العائلية التي ظلت عبر التاريخ تؤدي مهام التربية والتثقيف ونقل الثقافات عبر الأجيال.

● فبعد أن كان أعضاء العائلة الواحدة يجتمعون ويتبادلون الأحاديث والنقاشات فيما بينهم حول مختلف الأمور الحالية والمستقبلية ويقضون سهراتهم سويا، اكتسب الأفراد مع مجيء التلفزيون سلوكيات جديدة كالجلوس لساعات أمام هذا الجهاز كمتلقين وفي أغلب الأحيان يشاهدون بطريقة فردية بسبب اختلاف الأذواق والرغبة في التركيز على المشاهدة، وهذا يشكل تهديدا حقيقيا للبناء

الاجتماعي الأسري، فغياب التفاعل الاجتماعي يحجّم الصورة لدى الآباء عن مشكلات أبنائهم،

✓ العادات التواصلية الحديثة في الأسرة الجزائرية المعاصرة:

- أثبتت أغلب الدراسات الحديثة أن لوسائل الاتصال الحديثة تأثير إدماني على الجزائريين، إذ أصبحت هذه الوسائل جزء لا يتجزأ من حياة المستعملين يفقدونها إذا لم تكن موجودة ويشعرون بالقلق من دونها، حيث يرى مارشال ماكلوهان صاحب نظرية الحتمية التكنولوجية بأن الحتمية من طبيعة التكنولوجيا، وأن تكنولوجيا الاتصال هي الأساس في تفسير التحولات التاريخية في المجتمعات.
- بتوضيح ترتيب أولويات الدوافع الاجتماعية من استخدام التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال لدى الأسر الجزائرية يعتبر دافع سهولة التواصل من الأولويات الأولى إذ تسجل مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة ملايين الزيارات يوميا، وتضمن لزارئها تناقل المعلومات وهي طازجة ومثيرة وفي وقتها المناسب، بالإضافة إلى التواصل الدائم عبرها وعبر الهاتف النقال، حيث أوجدت هاته الوسائل لكل فرد من أفراد الأسرة طرقا جديدة للاتصال.
- تساهم وسائل الاتصال الحديثة في تدعيم الروابط الاجتماعية وتعزيزها من خلال بعض السلوكيات والمظاهر حيث تعتبر وسائل لإلغاء الحواجز الاجتماعية وتوسيع مجال العلاقات الاجتماعية وتوطيدها بتقريب المسافات افتراضيا.
- يمكننا التأكيد على الدور الذي تضطلع به التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية لدى المجتمع الجزائري خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن نسبة كبيرة من أفراد الأسر يستخدمونها للاتصال بالأقارب، أو للتعارف وتكوين صداقات عن طريقها خاصة عن

- طريق الهاتف النقال الذي يعد ثاني أكبر وسيلة اتصال (وسيط حواري) استطاعت أن تلغي جميع الحدود الجغرافية بعد الانترنت.
- تساهم مضامين وسائل الاتصال الحديثة في تنشيط الحوار بين أفراد الأسرة على اعتبار أنها حسب رأي علماء الاجتماع هي مؤسسات تنشئة اجتماعية يتم من خلالها اكتساب قيم المجتمع وثقافته ، إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم الأسرية ، فكل نوع من مضامينها يساهم في تنشيط الحوار الأسري من جهة ، و يحدث تنشئة اجتماعية معينة من جهة أخرى (فالأخبار تساهم في التنشئة السياسية ، البرامج التعليمية تساهم في التنشئة التربوية ، و البرامج الدينية تساهم في التنشئة الدينية.....).
 - و في المقابل هناك تراجع في فرص الاتصال الأسري داخل الأسرة الجزائرية فمقتضيات الحياة اليومية المعقدة و السريعة جعلت سير العلاقات التي تجمع أفراد الأسرة تتجه نحو فجوة ساهمت في تقليص قيمة التآزر والتكافل المعنوي و المادي ، و جعلت كل فرد يعيش لذاته رغم وعيه بذلك.
 - إن العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين أفراد الأسرة أصابتها تغيرات عديدة منها تراجع في نسبة الاتصال الأسري و ذلك لعدة أسباب داخلية و خارجية، وأهم سببان وراء ذلك هو دخول التكنولوجيات الحديثة المنازل والمشاغل اليومية حيث أثرت صعوبات الحياة اليومية التي تواجهها الأسرة في الوسط الحضري على وظيفتها التربوية و التواصلية. خاصة بعد تعقيدات الحياة الحديثة و كثرة الالتزامات الأسرية التي ألزمت الآباء و الأمهات على ضرورة العمل لتوفير حاجاتهم وحاجات أبنائهم و التي زادت بعد ظهور التكنولوجيات الحديثة للإعلام و الاتصال حيث أصبح الوالدان في الأسرة الجزائرية يعملون لفترات طويلة ليعبروا عن حبه لأولادهم من خلال تقديم أحدث وسائل الراحة المادية و أدوات التسلية و الفرص التعليمية والتكنولوجية الأكثر عصرية لهم.

- إن مظاهر و أشكال التفكك في الأسرة الجزائرية الناتجة عن استخدام التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال كثيرة أهمها كما يلي: اتساع الفجوة بين الآباء والأبناء ، كما أنها ساهمت في تفشي ظاهرة التقليد الأعلى للعوادات الأجنبية ، واتساع مساحة الخصوصية الفردية و قلة الاتصال بالأقارب ، وأخيرا التباعد بين الأزواج .
- سيطرت هذه التقنيات على الوقت الذي تقضيه الأسرة معا، حيث تقلص طابع التعامل التلقائي و التواصل الحميمي بين أفراد الأسرة الواحدة و ما يجمعها من أنشطة خاصة و ألعاب و دعابات متكررة، فالاتصال الأسري قائم على الحياة الجماعية و المشاركة التي عوضتها اتساع مساحة الخصوصية الفردية.
- حيث يؤكد كثير من علماء الاجتماع من متبنو نظرية البنائية الوظيفية أن الأسرة أصابها التفكك نتيجة فقدانها لكثير من وظائفها التقليدية التي انتقلت إلى أنساق أخرى في المجتمع فلم تعد مصادر التربية والتواصل الاجتماعي محصورة في الأب والأم والأخوة والجد والجدة، بل أصبحت التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال تلعب دورا كبيرا وهاما في هذا المجال من نشئة اجتماعية إلى إكساب اللغة وحل مشاكل عديدة كانت الأسرة هي التي تلعب الدور الأول والأخير فيها.
- وفي جميع الأحوال فان أسلوب حياتنا يتغير نتيجة استخدام التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال و الشيء المهم هو أن نتحكم في هذه التكنولوجيا ونعزز الجانب الايجابي منها للفرد والمجتمع بدلا أن نتركها تتحكم فينا وتزيد من وحدتنا وتشتتنا ، فلم تعد الأسرة من الثوابت فقد تعرضت لمجموعة من المؤثرات المحلية والعالمية بحيث أصبحت الضرورة ملحة لإعادة فهمها في إطار تغيير أنماطها ووظائفها التي ظلت تقوم بها لفترات طويلة عبر التاريخ، ذلك التغيير الذي لحق بالأسرة وأدوارها تشهده كافة المجتمعات لأسباب ترتبط بالظروف والتغيرات الداخلية من جانب

وبتأثيرات التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال) من جانب آخر بكل ما تحمله من تناقضات وتحديات، بحيث بات السؤال عن مغزى الأسرة وأدوارها التي تبدلت سؤالاً ملحا في ظل مجتمعات تتغير حدودها السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، مجتمع أصبح يوصف بمجتمع الأزمة والمخاطر التي يصعب التنبؤ بها.

خاتمة:

لنخلص في الأخير إلى أن الاستخدام اللاعقلاني لوسائل الاتصال الحديثة يولد اتجاهات وتغيرات سلبية وانحرافية لدى أفراد الأسر أهمها خلق فجوة اتصالية بين الأبناء والآباء وما يزيد الأمر حدة وتعقيدا هو أن التغير يسير ببطء بمنأى عن المراقبة والإحساس، وعليه لابد من رد فعل واعي لما يجري للأسرة التي تعتبر ركيزة المجتمعات، وإذا كانت هناك إستراتيجية مخططة لضرب ثقافة المجتمع فلا بد أن تقابلها إستراتيجية موازية بنفس القوة لتقويضها والحد من أثارها وعلى جميع الأصعدة والمستويات، ولنبداها من الأولياء الذين يجب أن يتذكروا دائما العمل بالحكمة العربية الشهيرة "ربوا أبناءكم على غير أخلاقكم فإنهم خلقوا لغير زمانكم"، بالإقرار على الأقل أن التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال من عناصر زمان الأبناء، فعلى الأسرة التعامل مع أبنائها في تفعيل الاتصال الأسري بإقامة علاقة تكاملية مع وسائل الاتصال الحديثة لا تصادمية وتسليح أفراد الأسرة بتعاليم الدين الإسلامي والتمسك بها وجعلها كمصفاة حساسة لكل ما تعرضه هاته الوسائط فما كان منها متماشيا مع مبادئ الدين الإسلامي أمكن قبوله واستثماره في جميع المجالات، أما ما كان منافيا لها فلا ضرورة له، بالإضافة تمسك الأسرة بالمنظومة القيمية للمجتمع الجزائري بما تحمله من ثراء وتنوع من شأنه تحصين المجتمع من مخاطر وسائل الاتصال الحديثة، خاصة وأنها نابعة من

صميم الدين الإسلامي والعادات والتقاليد التي تمثل الشخصية القاعدية للإنسان الجزائري، وكذلك التواصل بين أفراد الأسرة الذي يساعد في الحد من مخاطرهاته الوسائل حتى نضمن توجيه الأبناء توجيها سليما ونقيم مغبة الوقوع فرائس سهلة لمساوي الوسائل الحديثة للاتصال.

المراجع:

1. محمد بومخلوف وآخرون: واقع الأسرة الجزائري والتحديات التربوية في الوسط الحضري: سلسلة احذر من الخطر قبل فوات الأوان، ط1، مخبر الوقاية والارغنونميا، الجزائر، 2008، ص172.
2. فريدة صادق زوزو: الأسرة الجزائرية بين التقاليد والتغريب www.lahaonline.com بتاريخ 27.03.2010 على الساعة 22:52.
3. عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1968، ص 166
4. Claudine CHAULET :La terre les frères et l'argent : stratégie familiale et production agricole en Algérie depuis 1962 .OPU .Tomel .Alger .1987 , p203 .
5. مصطفى بوتفنوشت: العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ترجمة: رمزي أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 37 .
6. حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984، ص 179 .
7. Philippe Fragues : "la démographie du mariage arabo – musulman : tradition et changement maghreb-machrek, Fondation Nationale des Sciences Politiques, Paris, n°116, avril-mai-juin, 1987, p59.
8. حليم بركات: مرجع سبق ذكره، ص 190
9. دحماني سليمان: ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية، العلاقات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005 / 2006، ص ص 87، 88

- 10.Souad khodja : Nous les Algériennes : la grande solitude .
Alger CASBAH,2002,p153.
- 11.mohamed rabzani : la vie familiale des femmes algériennes salariées
l'haromattan .paris,1997 ,p199.
- 12.Fadéla Haider et Nadia Attou : mutations des structures familles et
évolution du statut de la femme en Algérie in séminaire femme et
famille,Paris,CICRED ,FNVP.1987p 259.
- 13.سعدى وحيدة: ما وراء الاتصال داخل الأسرة العربية، مجلة دراسات، الإمارات
العربية، الشارقة، العدد 35- صيف 2013، ص 57.
- 14.علياء شكري: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة
1979، ص ص 230،231 .
- 15.سعدى وحيدة: ما وراء الاتصال في الأسرة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 68.
- 16.مصطفى بوتفنوشت، مرجع سبق ذكره، ص 10.
- 17.سعدى وحيدة، ما وراء الاتصال في الأسرة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 77
- 18.بركي سهام: أثر التطور التكنولوجي على عادات وتقاليد العائلة الجزائرية (زواج
الانترنت)

www.djazaierss.com/703 .11:39 على الساعة 2011/12/16 :

